﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإقْرارُ بِرُبوبيَّةِ اللهِ تَعالى دَليلٌ عَلى انْفِرادِهِ سُبْحانَهُ بِالأُلوهيَّةِ

لَمّا سلّى اللّهُ تَعالى قَلْبَ النَّبيِّ ﷺ بقولِه: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ أيْ: لا تَحْزَن على تكذيبِهم؛ فإنَّ صِدْقَك وكَذِبَهُم يتبَيَّنُ عن قريبٍ عندَ رُجوعِهم إلينا؛ أخبره هنا أنَّ تَبَيُّنَ ذلك ليس مختَصًّا بذلك اليوم، بَل يتبَيَّنُ قبل يومِ القيامة؛ لأنَّهُم مُعترِفونَ بأنَّ خالقَ السَّماواتِ والأرضِ هو اللّهُ سُبْحانَه، وهذا يُصَدِّقُك في دَعْوى الوَحدانيَّة، ويُبَيِّنُ كَذِبَهم في الإشْراك، فقالَ سُبْحانَه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: (حمد) تدُلُّ تَصْريفاتُه على ضدِّ الذّمِّ[2]، وهو: "الثَّناء باللِّسان على الجميل، سَواءٌ تعلَّق بالفضائل كالعلم، أم بالفَواضِل كالبِرِّ"[3]، أي: سواءٌ تعلَّق بالجميل اللّازِم أوِ المُتعدّي، ومِنْ أصحِّ ما قيلَ في معناهُ ما قال ابْنُ سيدَهْ: "الحَمد هو الوَصْفُ بالجميل على جهةِ التَّفضيلِ"[4]، وقريبٌ منه ما قرَّره ابنُ تيميَّة الحفيدُ مِنَ أنَّ الحمدَ: الإخبارُ بمَحاسِنِ المَحمودِ معَ المحبَّةِ له[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أثَرُ اعْترافِ المُشْرِكينَ بِرُبوبيَّةِ اللهِ تَعالى

ولئنْ سألتَ – أيُّها الرَّسولُ الكريمُ – هؤلاءِ المُشْرِكين باللّهِ تَعالى:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 126.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حمد)، والأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (حمد).
(3) العسكريُّ، معجم الفروق اللُّغويَّة، ص: 201.
(4) ابنُ سيدَهْ، المُخصَّص: 5/ 231 - 232.
(5) ابنُ تيميَّة، مجموع الفتاوى: 6/ 259.

مَن خلقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ ليقولُنَّ: اللّهُ، فإذا قالوا ذلك فَقُلْ لهم: الحمدُ للّهِ الّذي أظْهَرَ الاستدلالَ عَلَيْكُم مِن أنْفُسِكم، بَل أكثرُ هؤلاءِ المُشْرِكين لا يَنْظُرونَ ولا يتدَبَّرون مَنِ الّذي لهُ الحَمْدُ والشُّكر، فلذلك أشْرَكوا معهُ غيرَهُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾:

الـجَـمْـعُ بَـيْنَ الإقْـرارِ بِرُبوبيَّةِ الـلّـهِ تَـعـالى وعـبـادةِ غَـيْرِهِ غايَةُ السُّخْفِ

(الواوُ) في ﴿وَلَئِن﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جُملة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ باعتبار أنَّ ما وجَدوا عليهِ آباءَهُم هو الشِّرك باللّه تعالى، ولكن في مُقابِل ذلك إنْ سألَهُم سائِلٌ: مَن خلقَ السَّماواتِ والأرضَ؛ يكونُ جوابُهم: خلقَهُنَّ اللّهُ، وهَذا تَسْخيفٌ لِعُقولِهم؛ إذْ جمعَت بينَ الإقرارِ للّهِ سُبْحانَه بالخَلْقِ وبينَ اعتقادِ ألوهيَّة غيرِه[2].

مَعْنى اللّامِ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾:

تَـأكـيـدُ جَـوابِ القَسَمِ وتَقْويَتُهُ

(لامُ) (لَئِنْ) من قول الله تعلى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ موطِّئَةٌ للقسَم[3]، فهي تدُلُّ على قسَمٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: واللّهِ لئِنْ سألتَهُم...، وهذا الضَّرْبُ مِنَ التَّأكيدِ يُراد به التَّأكيدُ على الجوابِ التّالي للقسَم.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الشَّرْطيَّةِ:

تَشْويقُ المُتَلَقّي لِانْتِظارِ الجَوابِ القاطِعِ

في التَّعبير بالجُمْلة الشَّرطيَّة في قول اللّهِ تَعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إيماءٌ إلى معنى التَّحدّي والإلزامِ بالحَقِّ، فالجملةُ الشَّرطيَّة مبنيَّةٌ على شرطٍ مُفترَضٍ لا يُحتاجُ إلى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 150، ونخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 413.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 179.
(3) علي، سورة لقمان: دراسة بلاغية: 2/ 399.

وُقوعِه لتأكيدِ الجوابِ؛ إذِ الجوابُ معروفٌ ومتيقَّنٌ، وإخراجُ هذا المعنى في قالَبِ الشَّرط يَبعَثُ في نفسِ المُتلَقّي شَوْقًا لانتظارِ الجوابِ الذي لا مفرَّ مِنْهُ.

كما أنَّ في التَّعبير بالشَّرط إيماءً إلى تَكرارِ السُّؤال، وإقرارِ المُشْرِكينَ بالجَواب في أوقاتٍ مُتباينةٍ، ممّا يَقْتَضي المُبالغَةَ في تَوْبيخِهِم لأجْلِ تَناقُضِهم بينَ الإقْرارِ بِرُبوبيَّة اللّه تعالى وبينَ الإشْراكِ بِهِ في ألوهيَّتِه.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ (إنْ) دونَ (إذا):

كُفْرُهُمُ الظّاهِرُ مَعَ وُضوحِ الحَقِّ وأدِلَّتِهِ

جاء التَّعبيرُ في جُمْلَةِ الشَّرط بـ (إن) في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ دون (إذا)؛ لأنَّ (إنْ) تدُلُّ على الشَّكِّ في وقوعِ الشَّرط، بخلاف (إذا) فإنَّها دالَّة على القَطْع والجَزْم بوُقوعِ مَدْخولِها، والشَّكُّ المُسْتَفادُ مِن (إن) راجِعٌ إلى وُقوعِ السُّؤال لا في الجَواب، فالسُّؤال قد لا يَقَعُ باعْتِبار أنَّ جوابَهُ مَعْروفٌ ومَحْسومٌ سلفًا.

وفي التَّعبير بـ (إن) إيماءٌ إلى الإنكارِ عليهم؛ حتَّى كأنَّ السُّؤال عن أمرٍ معلومٍ مِمّا لا يُحتاج إليه، وهذا يَقْتَضي النِّداءَ عليهم بالتَّناقُضِ العَظيم والكُفرِ المُسْتَبين مع ظُهورِ الحقِّ ووُضوحِه.

دِلالَةُ الاِسْتِفْهامِ في الآيَةِ:

تَهافُتُ قَوْلِ المُشْرِكينَ في إنْكارِ الأُلوهيَّةِ

﴿مَّنْ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ اسمُ استفهامٍ، والاستفهامُ هَهُنا تقريريٌّ[1]، يُراد به إلجاءُ المُخاطَب إلى الإقرارِ بِما يعرِفُهُ؛ ليُلْزَمَ بما يترتَّبُ عليه؛ إذِ الجَوابُ معروفٌ في أذْهان المشركين، ويَلْزَمُ مِن هذا الاستفهامِ التَّقريريِّ توبيخُ المخاطَبين؛ لأنَّ فيه استدعاءً لحقيقةٍ لا يتأتّى لَهُم إنكارُها، مِمّا يجعَلُ الاستفهامَ تأكيدًا للاحتجاجِ عليهم وإظهارًا لتَهافُتِ قولِهم في إنكارِ الألوهيَّة.

(1) علي، سورة لقمان: دراسة بلاغية: 2/ 399.

مَعْنى اللّامِ في ﴿لَيَقُولُنَّ﴾:

الإقْرارُ بالرُّبوبيَّةِ والإشْراكُ في العُبوديَّةِ غايَةٌ في التَّناقُضِ

(اللّامُ) في ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ واقعةٌ في جواب القسم، يُراد بها توكيدُ الفِعْلِ المُضارع بعدَها، وذلك دالٌّ على تحقُّق ذلك القولِ مِنْهُم حالَ سُؤالِهم، مِمّا يُؤَكِّد تناقُضَهُم الّذي سيقَتِ الآياتُ لبيانِه؛ إذْ جَمَعوا بينَ الإقْرارِ للّه تعالى بالرُّبوبيَّة، والإشراكِ معَهُ في العِبادَةِ.

فائِدَةُ تَوالي مؤكِّدين:

تَوْبيخُهُمْ عَلى تَرْكِهِمْ إفْرادَ اللهِ سُبْحانَهُ بِالعِبادَةِ

توالى مُؤَكِّدانِ (اللّامُ والنّون) في قولِ اللّه تَعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾؛ للدّلالة على تحقُّق القولِ مِنْهُم حالَ سُؤالِهم، واعترافِهم يقينًا بأنَّ اللّه تعالى هو الخالِقُ، وهذا أدْعى لتَوْبيخِهِم لعَدَم التِزامِهِم بإفْرادِ اللّه تعالى بالعِبادةِ.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ﴾:

الاعْتِرافُ سَيِّدُ الأدِلَّةِ فيجبُ انحصارُ العُبوديَّة به

الاسْمُ الأحسَن ﴿ٱللَّهُ﴾ من قول اللّه سُبْحانَه: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ لخبرٍ محذوفٍ، تقديرُه: اللّهُ خَلَقَهُنَّ، ويجوزُ أنْ يكونَ خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: هوَ اللّهُ[1]، والجملةُ على هذينِ التّقديرَينِ اسميَّةٌ تفيدُ الثّبوتَ، وإنْ كان على جعلِ خبرِها فِعلًا تفيدُ الحدوثَ بالنَّظرِ إليه.

وفي هذا الحذفِ اختصارٌ وإيجازٌ مع استيفاءِ المَعْنى، وفيه متابعَةٌ لتَلَقّي المُخاطَبِ، حيثُ يُمْكِنُه إكمالُ المَعْنى في ذِهنه، ممّا يقوّي انتباهَهُ، وليكونَ التَّعويلُ في السّياق على الاسم الأحسنِ ﴿ٱللَّهُ﴾، وما فيه مِن مَعاني الجَلالِ والجَمالِ والكَمالِ.

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾:

أثَرُ الاسْتِئْنافِ البَيانيِّ في إبْرازِ مُتابَعَةِ المُتَلَقّي وشَوْقِهِ

فُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عمّا قبلَه؛ لوُقوعِه استئنافًا بيانيًّا؛ إذْ هذهِ الجُملة واقعَةٌ موقعَ جوابِ عَن سؤال مُتقدِّم، فإنَّ قولَ

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 555.

اللّه تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ يبعَثُ في نَفْسِ المُتَلَقّي سُؤالًا؛ حاصلهُ: إذا أجابوا عن هذا السُّؤال وأقرّوا بأنَّ اللّه سُبْحانَهُ هو الخالقُ، فَما الَّذي يُقالُ لَهُم؟ فجاء الجوابُ في قولِه تَعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾، كما أنَّ بينهما كمالَ الانقطاع؛ إذ حُكي قولُهم بأسلوبٍ خبريٍّ، وأُمِرَ ﷺ بأنْ يقولَ لهم بأسلوبٍ إنشائيٍّ.

دِلالَةُ الأمرِ في ﴿قُلِ﴾:

فعلُ الأمر ﴿قُلِ﴾ مِن قول اللّه ﷻ: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ يُراد به الإرشادُ إلى حَمْدِ للّه تعالى لإلزامِهم على إقْرارِهم بأنَّ الَّذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ هو اللّهُ سُبحانَه وحدَهُ، وأنَّ الحمدَ يجِبُ أنْ يكونَ مَصْروفًا له[1].

وُجــوبُ صَــرْفِ الحَمْدِ الكامِلِ للهِ تَعالى

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ مِنْ قول اللّه تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ لِلاستغراق[2]، إذِ الحمدُ في الحقيقةِ كُلُّهُ له؛ إذْ ما مِن خير إلّا واللّهُ سُبحانَهُ موليهِ بِواسِطَةٍ أو بِغَيْرِ واسِطَةٍ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الاِسْميَّةِ:

جملةُ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ جُملةٌ اسميَّةٌ، وأوثِرَت على الجُمْلة الفِعْليَّة (أحْمَدُ اللّهَ)؛ لأنَّ جملةَ (أحْمَدُ اللّهَ) يوهِمُ أنَّ قائلَها قادرٌ على تَوْفِيَةِ الحَمْدِ حقَّهُ، بخلافِ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾؛ فإنّه يُفيدُ استحقاقَ اللّهِ تعالى الحَمْدَ قَبْلَ أن يحْمَدَهُ الخَلْقُ، كما أنَّ جملةَ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ دالَّةٌ على اسْتِحْقاقِ اللّهِ سُبْحانَهُ الحَمْدَ، بخلاف جملةِ (أحْمَدُ اللّهَ)؛ فَلا تَدُلُّ على ذلك، واللَّفظُ الدّالُّ على استحقاقِ اللّه تعالَى الحَمْدَ أولَى مِنَ اللَّفْظِ الدّالِّ على حَمْدِ الأفْرادِ لَهُ.

اسْتِحْقاقُ اللهِ تَعالى الحَمْدَ قَبْلَ أنْ يَحْمَدَهُ الخَلْقُ

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 555 - 556.
(2) علي، سورة لقمان: دراسة بلاغية: 2/ 401.

وفي التَّعبير بالجُمْلَةِ الاسْميَّة أيضًا دلالةٌ على الثُّبوت والاستمرارِ بالقرائنِ، بخلاف جملة (أحمدُ الله)؛ فإنَّها جملة فعليَّة تَدُلُّ على التَّجدُّدِ والحدوثِ، والثُّبوتُ والاستمرارُ أنسَبُ في مقام الثَّناءِ، كما يُطابِقُ التّعبيرُ بالجملةِ الاسميَّةِ جوابَهم عنِ السُّؤالِ بالجملةِ الاسميَّة.

ثُمَّ إنَّ في جملةِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مِنَ الاِسْتِغْراق لأنواع المَحامِدِ ما لَيْسَ في (أحمد الله).

مَعْنى (اللام) في ﴿لِلَّهِ﴾:

(اللّامُ) في ﴿لِلَّهِ﴾ من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لِلاسْتِحْقاق؛ وذلك لوُقوعِها بينَ مَعْنًى وهو الحَمْدُ، وذاتٍ وهو اللّهُ سُبحانه، وذلك يقتضي كونَها للاسْتِحْقاقِ[1].

مَعْنى ﴿بَلْ﴾ في قَوْلِهِ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾:

﴿بَلْ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ للإضرابِ، وهو إضرابٌ انتقاليٌّ لا إبطاليٌّ؛ إذْ ما قبلَهُ مِنَ الحَمْدِ الوارد في قولِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ باقٍ لم يُعْرَض عنهُ ولم يُلْغَ، ففي الإضرابِ انْتِقالٌ مِمّا تقدَّم مِن حمدٍ للّه على انْتِصارِ الحقِّ، وإقرارِهم بِما هو حجَّةٌ علَيْهِم، إلى ذَمِّهم بنَفْيِ العِلْمِ عَنْهُم، والمَعْنى: لا يَعْلَمون بأنَّ ذلك حُجَّةٌ عليهم[2].

نَـفْـيُ الـعِـلْـمِ عَنْهُمْ ذَمٌّ بالِغٌ لَهُمْ

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالأكْثَريَّةِ:

في التَّعبير بالأكثَريَّة في قولِ اللّه تَعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إيماءٌ إلى شُيوع الجَهْلِ في أهْلِ الشِّرك، وفي ذلك أيضًا فتحُ لبابِ التَّوبة والرُّجوع لَهُم إلى الحقِّ؛ حيثُ يَتوهَّم كلُّ واحدٍ مِنْهُم أنَّه ليس داخِلًا في هذه الكَثْرَةِ، فيكونُ ذلكَ داعيًا لَهُ للانْقيادِ إلى الحَقِّ.

شُيوعُ الجَهْلِ في أهْلِ الإشْراكِ

(1) ابن هشام، مغني اللَّبيب، ص: 275.
(2) علي، سورة لقمان: دراسة بلاغية: 2/ 403.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المَنْفيّ:

دَوامُ اسْتِمْرارِهِمْ عَلى الجَهْلِ المُبِينِ

جاء التَّعبيرُ بالفِعْلِ المُضارِع المنفيّ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ من قول الله تَعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ للدّلالَةِ عَلى الدَّوام والاسْتِمْرار، والمقصودُ اسْتِمْرارُ النَّفْي، لا نَفْيُ الاسْتِمْرار؛ لأنَّ مقامَ الذَّمِّ يقتضي وصفَهُمْ باسْتمرارهم على عَدَم العلم، وعلى فُشوِّ الجَهْلِ فيهم، وإنَّما نَفَى العلْمَ عن أكثرِهم؛ لأنَّهم يَعترفونَ ويُقرّونَ بأنَّ اللّهَ خلقَ كلَّ شيءٍ، ومع ذلك يُشركونَ به آلهةً يَزعُمونَها، وهي من مَخلوقاتِه ومفتقرةٌ إليه وُجودًا، وبذلك يُساوونَ بينَ الخالقِ والمخلوقِ، ومُستحِقِّ العِبادة ومَن لا يَستحِقُّها، وذلك دليلُ نفيِ العلْمِ عن أكثرِهم.

نُكْتَةُ حَذْفِ مَفْعولِ ﴿يَعْلَمُونَ﴾:

أَثَـرُ الـحَـذْفِ في عُمومِ المَعْنى

حُذِفَ مفعولُ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ من قول الله تَعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لإرادةِ العموم، إذْ حَذْفُ المعمولِ مُشْعِرٌ بذلك، والتَّقديرُ: لا يعلمونَ شيئًا مِنَ الأشياء، ولذلك هُم لا يَعمَلون بمُقْتَضى إقْرارِهم برُبوبيَّة الله سُبحانه[1]، ويجوزُ أنْ يكونَ الفعلُ المُتَعدّي نُزِّل منزلةَ الفِعل اللّازم، فلا يُقدَّر له مفعولٌ بهِ أصلًا، والمَعْنى: بَل أكثَرُهم لَيْسوا مِن ذَوي العِلْم.

تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظيّ:

دِقَّـــةُ الـبَـيـانِ القُرْآنيّ في انْتِقاءِ الأَلْفاظِ المُلائِمَةِ لِسياقاتِها

قالَ الله تَعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: 61]، وفي سورةِ لُقْمان: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقَدِ اخْتَلَفتِ الآيتانِ مِن وجْهَيْن:

أحدُهما: في انْفِراد آيةِ العَنْكبوتِ بزيادَةِ ذِكْرِ تَسْخير الشَّمس والقمر.

والآخرُ: فيما ذُيِّلت به كُلُّ آيةٍ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 75.

فأمّا الأوَّلُ؛ فقد جاءتْ آيةُ العنكبوتِ بزيادة تسخير الشَّمس والقمرِ؛ وذلك لأنَّه تقدَّمها قولُ الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠﴾ [العنكبوت: 60]، فكان السّياق متعلِّقًا بتَعْدادِ نِعَمِ الله سُبْحانَهُ على العبادِ، فناسبَهُ مَزيدُ ذكرٍ لها، فنُصَّ على تسخيرِ الشَّمسِ والقمر، فقالَ تَعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [العنكبوت: 61].

وأمّا آيةُ لُقْمانَ؛ فقد سبقَها قولُ الله ﷻ: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾، فلما كان السّياقُ أكثرَ تَعَلُّقًا بالتَّهديد؛ ناسبَهُ عدَمُ ذِكْرِ تسخيرِ الشَّمس والقمَر[1].

وأمّا الوجهُ الثّاني فاختلفَ تَذْييلُ الآيتَيْنِ؛ لانْبِناءِ ذلكَ على تَرْتيبِ السّور في القُرآن الكريم، فإنَّ الله سُبْحانَهُ لَمّا ذكر حالَهم لو سُئِلوا عَن خَلْق السَّماوات والأرض وتسخيرِ الشَّمسِ والقمر، وذلك مِمّا لا إشكالَ فيه لمَنْ وُفِّق؛ قال ﷻ: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [العنكبوت: 61]، أي: كيف يُصرَفونَ عَن هذهِ الدّلالة معَ وُضوحِها وظُهورها، ثُمَّ لَمّا جاءتْ سورةُ لُقْمانَ عقَّب اللهُ تَعالى آيتَها بقولِه: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، فتمَّتِ المرادَ بالآية الأولى، وكان حاصِلُ مَجْموع الآيتَيْنِ: كيفَ يُصْرَفونَ معَ بيانِ الأمْرِ؟ ما ذلك إلّا لِمَنْعِهم عَن العِلْمِ[2].

(1) سعد عبد العظيم محمد، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 774 - 775.

(2) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 392.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»